

فصلٌ

في خطبته بتبوك وصلاته

ذكر البيهقي في "الدلائل" والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فاسترقى رسول الله ﷺ ليلةً، لمَا كان منها على ليلة، فلم يستيقظ فيها حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: ألم أقل لك يا بلال: أكلا لنا الفجر؟ فقال: يا رسول الله، ذهب بي من النوم الذي ذهب بي. فانطلق رسول الله ﷺ من ذلك المنزل غير بعيد، ثم صلى، ثم ذهب بقيه يومه وليلته، فأصبح يتبوك، فحمد الله وأتني عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير المل ملة إبراهيم، وخير السنن سنّة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازها، وشر الأمور محدثتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهادة، وأعمى العمى الضلال بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما أثفع، وشر العمى عما القلب، واليد العليا خير من اليد السفلية، وما قل وكفى خير مما كثر واللهى، وشر المغيرة حين يحضر الموت، وشر الدمامنة يوم القيمة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا ذبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الرزاد التقوى، ورأس الحكم مخافة الله ﷺ، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياح من الكفر، والنياحة من عمل الجاهليه، والغلول من جن جهنم، والسكر كي من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، وشر المالك مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطنه أمه، وإنما يصير أحدهم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل حواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمه ماله كحرمة دمه، ومن يتال على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر له، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكتظم الغيطي يأجزه الله، ومن يصيير على الرزية يعواضه الله، ومن يبتغي السمعة يسمع الله به، ومن يتصيير يضعف الله له، ومن يغضض الله يغدوه الله، ثم استغفار ثلاثة.

الطالب: عليه حاشية: أخرجه البيهقي من طريق يعقوب بن محمد الزهري، عن عبدالعزيز بن عمران: حدثنا مصعب بن عبد الله، عن منظور بن سيار: أخبرني أبي: سمعت عقبة بن عامر الجهي ـ. وهذا إسناد ضعيف جداً؛ يعقوب بن محمد الزهري كثير الوهم، كثير الرواية عن الضعفاء. وعبدالعزيز بن عمران متروك، احترق كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه. ومنظور بن سيار لا يعرف، وكذلك أبوه، وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب، وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف.

الشيخ: هذه كلمات جمعها بعض الرواة، قواعد، كلمات عظيمة تجمعت لبعض الرواة، ورواها حديثاً عن النبي ﷺ، وهي قواعد مهمة، وكلمات مهمة، ولكنها شواهد من الأحاديث الصحيحة،

ومن الآيات، ولكن مثلاً قال المحسني وابن كثير: إسناده ليس ب صحيحٍ. لكن جمعها بعضُ الرواية
وجعلها حديثاً مرفوعاً.

س:؟

ج: بعضها، ما هو كلها، بعضها له شواهد.

وذكر أبو داود في "سننه" من حديث ابن وهب: أخبرني معاوية، عن سعيد بن غزان، عن أبيه:
أنه نزل بتبوك وهو حاج، فإذا رجل مُفعد، فسألته عن أمره، قال: سأحذتك حديثاً فلَا تحدث به ما
سمعت أني حي: إن رسول الله نزل بتبوك إلى نخلة، فقال: هذه قيلتنا، ثم صلى إليها، قال: فأقبلت
وأنا غلام أسعى حتى مررت بيئه وبينها، فقال: قطع صلاتنا، قطع الله أمره، قال: فما فهم عليهما
إلى يومي هذا.

الطالب: في الحاشية: أخرج أبو داود في "الصلاحة" باب "ما يقطع الصلاة"، و معاوية هو ابن صالح، صدوق له أوهام، و سعيد بن غزان مجهول.

الشيخ: والمتن غير صحيح؛ لأنَّ الرسول ما يدعُ عليه بهذا الدعاء عليه الصلاة والسلام، فالرجل
لا يقطع الصلاة، إنما يقطعها الحمار والمرأة والكلب الأسد، الرجل لا يقطع الصلاة، وهو لا
يدعُ عليه بهذا الدعاء.

س:؟

ج: المرور من نوع، لكن هذا الدعاء: "قطع صلاتنا، قطع الله أمره" ما يقوله النبي؛ لأنَّ الرجل لا
يقطع الصلاة.

س: الحديث ضعيف السنده والمتن؟

ج: نعم، المتن منكر، والسنده ضعيف.

ثم ساقه أبو داود من طريق وكيع، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مولى ليزيد بن نمران، عن يزيد
بن نمران قال: رأيت رجلاً بتبوك مُفعداً، فقال: مررت بيئي يدي رسول الله على حمارٍ وهو
يُصلّي، فقال: اللهم اقطع أمره، فما مشيئت عليهما بعد. وفي هذا الإسناد والذي قبله ضعف.

الشيخ: ولو صحَّ فله وجاه؛ لأنَّ الحمار موجودٌ معه، لكن العمدة على الأسانيد.

فصلٌ

في جمِعِه بين الصالتين في غزوة تبوك

قال أبو داود: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا الليث، عن يزيد ابن أبي حبيب، عن أبي الطفيلي عامر بن وائلة، عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيف الشمس آخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليها جميعاً، وإذا ارتحل قبل المغرب آخر المغرب حتى يصليها مع العشاء، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصالها مع المغرب.

وقال الترمذى: إذا ارتحل بعد زراعة الشمس عجل العصر إلى الظهر، وصلى الظهر والعصر جميعاً. وقال: حديث حسن عريب. وقال أبو داود: هذا حديث مُنْكَرٌ، وليس في تقديم الوقت حديث قائم.

وقال أبو محمد ابن حزم: لا يعلم أحد من أصحاب الحديث ليزيد ابن أبي حبيب سماعاً من أبي الطفيلي.

وقال الحاكم في حديث أبي الطفيلي هذا: هو حديث رواه أئمّة ثقاف، وهو شاذ الإسناد والمتن، لا نعرف له علة نعلمه بها، فنظرنا فإذا الحديث موضوع. وذكر عن الدخاري: قلت لقتيبة بن سعيد: مع من كتبت عن الليث حديث يزيد ابن أبي حبيب، عن أبي الطفيلي؟ قال: كتبته مع خالد المدائني، وكان خالد المدائني يدخل الأحاديث على الشيوخ.

ورواه أبو داود أيضاً: حدثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عباد الله بن موهب الرملي: حدثنا مفضل بن فضالة والليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن أبي الزبير، عن أبي الطفيلي، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ كان في غزوة تبوك إذا رأغت الشمس قبل أن يرتحل جموع بين الظهر والعصر، وفي المغرب مثل ذلك؛ إن غابت الشمس قبل أن يرتحل جموع بين المغرب والعشاء، وإن ارتحل قبل أن تغيب الشمس آخر المغرب حتى يتزل للعشاء ثم يجمع بينهما.

وهو شام بن سعد ضعيف عندهم؛ ضعفة الإمام أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وأبو زرعة، ويحيى بن سعيد، وكان لا يحدّث عنه، وضعفه النساء أيضًا، وقال أبو بكر البزار: لم أر أحداً توقف عن حديث هشام بن سعد، ولا اعتنّ عليه بعلة توجب التوقف عنه. وقال أبو داود: حديث المفضل والليث حديث مُنْكَرٌ.

الشيخ: ولكن معناه صحيح، وأن سنته تدل على الجمع عند الحاجة، فإذا ارتحل المسافر قبل زراعة الشمس شرع له أن يؤخر الظهر مع العصر، جمع تأخير، وإذا ارتحل قبل غروب الشمس شرع له أن يؤخر المغرب مع العشاء، جمع تأخير، وقد ثبت عن ابن عمر ما يدل على ذلك أيضًا، وأنه من السنة.

أما إذا ارتحل بعد الغروب فإنه يقدم العشاء مع المغرب، ويصير جمع تقديم، وإذا ارتحل بعد أن تزيف الشمس قدم العصر مع الظهر، جمع تقديم.

أما النازل المستريح فالأفضل عدم الجمع، كما فعل النبي في مني؛ لما كان نازلاً صلى كل صلاة في وقتها عليه الصلاة والسلام، هذا هو الأفضل: إذا كان نازلاً المسافر صلى كل صلاة في وقتها.

س: جمع التأخير ثابت في الصحيح، لكن جمع التقديم هو؟

ج: نعم، هذا وهذا، كله.

س:؟

ج: فقط في هذا الحديث، في بعض الروايات هذه، ولكن أصل الجمع ثابت.

س:؟

ج: معناه صحيح، معنى الجمع صحيح، ولكن وإن كان في الأحاديث ضعفٌ فشواهدها كثيرة.

س:؟

ج: محل نظرٍ، أقول: محل نظر.

س: وجه النكارة قول أبي داود: هذا منكر. وأيُّش وجه النكارة؟

ج: من جهة السند، من جهة الرجال يعني.

س:؟

ج: إذا ارتحل مسافر، إذا ارتحل من مكانه قبل غروب الشمس آخر المغرب مع العشاء، وإذا ارتحل قبل زيه الشمس -قبل الزوال- آخر الظهر مع العصر، أما إذا ارتحل بعد الزوال جمع العصر مع الظهر، أو ارتحل بعد الغروب جمع العشاء مع المغرب جمع تقديم، هذا هو الأفضل.

س:؟

ج: نعم، القصر والجمع يكون بعد مفارقة البيوت.

س:؟

ج: هذا ثابت؛ رواه مسلم في "الصحيح"، هذا حجّة في الجمع للنازل، لكن الأفضل عدمه، كما فعل النبي في آخر حياته ﷺ في مني.

س:؟

ج: الأفضل عدم الجمع للنازل المستريح، هذا الأفضل.

س:؟

ج: لا، مُقيم، أقام عشرين يوماً في تبوك.

فصلٌ

في رجوع النبي ﷺ من تبوك، وما هم المُنافقون به من الْكِيدِ به، وعصمة الله إياه.

ذَكَرَ أبو الأسود فِي "مَغَارِيَه" عَنْ عِرْوَةَ قَالَ: وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاقْلَالَ مِنْ تَبُوكَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِعَضُّ الطَّرِيقِ مَكَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَتَامَرُوا أَنْ يَطْرُحُوهُ مِنْ رَأْسِ عَقبَةِ فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا بَلَغُوا عَقبَةَ أَرَادُوا أَنْ يُسْكُنُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ خَبَرَهُمْ، قَالَ: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقبَةَ، وَأَخْذَ النَّاسَ بِبَطْنِ الْوَادِي إِلَّا النَّفَرُ الَّذِينَ هُمُوا بِالْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَعْدُوا وَتَلَمُوا، وَقَدْ هُمُوا بِأَمْرٍ عَظِيمٍ.

وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَمَشَيَا مَعَهُ، وَأَمْرَ عَمَّارًا أَنْ يَأْخُذَ بِزَمامِ النَّاقَةِ، وَأَمْرَ حُذِيفَةَ أَنْ يَسُوقَهَا، فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا وَكْرَةَ الْقَوْمِ مِنْ وَرَائِهِمْ قَدْ عَشَوْهُ، فَعَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمْرَ حُذِيفَةَ أَنْ يَرْدَهُمْ، وَأَبْصَرَ حُذِيفَةَ عَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ وَمَعَهُ مُحَجْنٌ، وَاسْتَقْبَلَ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا بِالْمُحَجْنِ، وَأَبْصَرَ الْقَوْمَ وَهُمْ مُتَلَّمِعُونَ، وَلَا يَشْعُرُ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُسَافِرِ، فَأَرَ عَبَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِينَ أَبْصَرُوا حُذِيفَةَ، وَظَنُوا أَنَّ مَكْرَهُمْ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّىٰ خَالَطُوا النَّاسَ.

وَأَقْبَلَ حُذِيفَةَ حَتَّىٰ أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ: اضْرِبِ الرَّاحِلَةَ يَا حُذِيفَةَ، وَامْشِ أَنْتَ يَا عَمَّارَ، فَاسْرِعُوا حَتَّىٰ اسْتَوْفُوا بِأَعْلَاهَا، فَخَرَجُوا مِنْ الْعَقبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُذِيفَةَ: هَلْ عَرَفْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَوِ الرَّكْبِ أَحَدًا؟ قَالَ حُذِيفَةُ: عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانَ وَفُلَانَ، وَقَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَغَشِيَّهُمْ وَهُمْ مُتَلَّمِعُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأنُ الرَّكْبِ؟ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ مَكْرُوا لِيَسِيرُوا مَعِي حَتَّىٰ إِذَا اطْلَعْتُ فِي الْعَقبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا، قَالُوا: أَوْ لَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا فَنَصَرْبَ أَعْنَاقَهُمْ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ وَيَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَمَّاهُمْ لَهُمَا، وَقَالَ: اكْتُمَاهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْبَرَنِي بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَسَأَخْبِرُكَ بِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدَّا عِنْدَ وَجْهِ الصُّبْحِ، فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَتْ فَاجْمَعُهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: ادْعُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، وَسَعَدَ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ، وَأَبَا خَاطِرَ الْأَعْرَابِيِّ، وَعَامِرًا، وَأَبَا عَامِرًا، وَالْجَلَاسَ بْنَ سَوِيدَ بْنَ الصَّامِتِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: لَا تَنْتَهِي حَتَّىٰ تُرْمِيَ مُحَمَّدًا مِنْ الْعَقبَةِ اللَّيْلَةَ، وَإِنْ كَانَ مُحَمَّدُ وَأَصْحَابُهُ خَيْرًا مِنَ إِنَّ إِذَا لَغَنَمْ وَهُوَ الرَّاعِي، وَلَا عَقْلَ لَنَا وَهُوَ الْعَاقِلُ.

الشيخ: الحمد لله الذي أبطل كيدهم.

وأمره أن يدعوا مجمع بن حارثة، ومليحا التيمي، وهو الذي سرق طيب الكعبة وازنَّ عن الإسلام، وأنطلق هارباً في الأرض، فلا يذرى أين ذهب؟

وأمره أن يدعوا حصن بن نمير الذي أغارت على تمر الصدقة فسرقه، وقال له رسول الله ﷺ: ويحك! ما حملك على هذا؟ فقال: حملني عليه أني ظنت أن الله لا يطلعك عليه، فاما إذا أطلعك الله عليه وعلمه فاناأشهد اليوم أنك رسول الله، وإنني لم أمن بذلك قط قبل هذه الساعة، فأ قال رسول الله ﷺ عثرته وعف عنها، وأمره أن يدعوا طعيمة بن أبيرق، وعبد الله بن عيينة، وهو الذي قال لاصحابه: اسهروا هذه الليلة تسلمو الدهر كله.

الشيخ: نسأل الله العافية.

فوالله ما لكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل، فدعاه فقال: ويحك! ما كان ينفعك من قتلي لو أني قتلت؟ فقال عبد الله: فوالله يا رسول الله، لا نزال بخير ما أعطاك الله النصر على عدوك، إنما نحن بالله وبك، فتركه رسول الله ﷺ، وقال: ادع مرة بن الربيع.

الشيخ: هذه الكلمة يمكن من بعض الرواية غلط: "إنما نحن بالله ثم بك"، كما بين النبي ﷺ في الأحاديث الأخرى، لو صحت هذه الحكاية فتصحّفت على الراوي، قال: "بالله وبك"، والصواب: "بالله ثم بك".

س:؟

ج: هذا شيء من عمل المنافقين، عمل المنافقين كثير، قاتلهم الله، هم أعظم عدو، وأقبح عدو، نسأل الله العافية، المنافقون هم أعداء الله: إنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: 145]، لهم وقائع كثيرة في الهم بقتل النبي ﷺ، والتصرّح بعاداته، والكيد له، والدعوة ضده، قاتلهم الله.

وقال: ادع مرة بن الربيع، وهو الذي قال: نقتل الواحد الفرد، فيكون الناس عامّة بقتله مطمئنون. فدعاه رسول الله ﷺ فقال: ويحك! ما حملك على أن تقول الذي قلت؟ فقال: يا رسول الله، إن كنت قلت شيئاً من ذلك إنك لعالم به، وما قلت شيئاً من ذلك.

فجمعهم رسول الله ﷺ، وهم اثنا عشر رجلاً، الذين حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله، فأخبرهم رسول الله ﷺ بقولهم ومنظومهم وسرهم وعلانيتهم.

الشيخ: جاء الوحي بهذا، اللهم صلّ عليه وسلم.

وَأَطْلَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَبَيَّنَهُ عَلَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ، وَماتَ الْإِثْنَا عَشَرَ مُنَافِقِينَ مُحَارِبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ۝: وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَتَأْلُوا [التوبه: 74].

وَكَانَ أَبُو عَامِرَ رَأْسَهُمْ، وَلَهُ بَنَوَا مَسْجِدَ الضِّرَارِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ: الرَّاهِبُ، فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ۝: الْفَاسِقُ، وَهُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَخْرَاهُ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، فَأَنْهَارَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ فِي نَارِ جَهَنَّمِ.

فَصْلٌ

فَلْتُ: وَفِي سِيَاقِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ مِنْ وُجُوهِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ۝ أَسَرَ إِلَى حُذِيفَةَ أَسْمَاءَ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِمْ أَحَدًا غَيْرَهُ، وَبِذَلِكَ كَانَ يُقَالُ لِحُذِيفَةِ: إِنَّهُ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَمَرٌ وَلَا غَيْرُهُ يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ، وَكَانَ إِذَا ماتَ الرَّجُلُ وَشَكُوا فِيهِ يَقُولُ عَمْرٌ: انْظُرُوا، فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ حُذِيفَةُ، وَإِلَّا فَهُوَ مُنَافِقٌ مِنْهُمْ.
الثَّانِي: مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ: "فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيِّي"، وَهُوَ وَهُمْ ظَاهِرُونَ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ نَفْسَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيِّي تَحَلَّفَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

الشِّيخُ: يعني ما سُقناه قبل قليلٍ، ما ساقه المؤلف قبل قليلٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: "وَسَعْدُ بْنُ أَبِي سَرْحٍ" وَهُمْ أَيْضًا، وَخَطَا ظَاهِرُهُ؛ فَإِنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي سَرْحٍ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ إِسْلَامُ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، ثُمَّ ارْتَدَ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، حَتَّى اسْتَأْمَنَ لَهُ عَثْمَانُ النَّبِيَّ ۝ عَامَ الْفَتحِ فَأَمَّنَهُ، وَأَسْلَمَ فَخَسِنَ إِسْلَامُهُ، وَلَمْ يَظْهُرْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ يُنْكِرُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ هُؤُلَاءِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ الْبَتَّةَ، فَمَا أَدْرِي مَا هَذَا الْخَطَا الْفَاحِشُ؟!

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ: "وَكَانَ أَبُو عَامِرَ رَأْسَهُمْ"، وَهَذَا وَهُمْ ظَاهِرُهُ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ دُونَ ابْنِ إِسْحَاقَ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ قَدْ ذَكَرَ قِصَّةَ أَبِي عَامِرَ هَذَا فِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ أَبَا عَامِرَ لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ۝ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ بِعِصْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَلَمَّا افْتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ۝ مَكَّةَ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا وَحِيدًا غَرِيبًا، فَأَيْنَ كَانَ الْفَاسِقُ وَغَزْوَةُ تَبُوكَ ذَهَابًا وَإِيَابًا؟

س: "فَأَنْهَارَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ فِي نَارِ جَهَنَّمِ" دُعَاءً؟

الطالبُ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ أَخْرَاهُ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، فَأَنْهَرَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ؟

الشِّيخُ: يعني هذا من الخبر الذي ما هو بصحيح، يعني: البقعة باقية، هذا من التنبية للخطأ في الرواية.

س: خبر وإلا دعاء؟

ج: لا، خبر ما هو صحيح.

س:؟

ج: يتأخّر يعني، يتکاسل يعني.



فَصْلٌ

فِي هَدِيهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ

خَطَبَ ﷺ عَلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى الْمِنْبَرِ، وَعَلَى الْبَعِيرِ، وَعَلَى النَّاقَةِ.

وَكَانَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضْبُهُ، حَتَّى كَانَهُ مُنْذُرٌ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحْكُمْ وَمَسَّاكمْ، وَيَقُولُ: بُعْثِثُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتِينِ، وَيُقْرِنُ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ: السَّبَابَةُ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

الشيخ: وهذا من هديه ﷺ في خطبه عليه الصلاة والسلام، وهديه كلّه خير، خير هديه عليه الصلاة والسلام، وكان في غالب أوقاته في السفر والإقامة يذكّر الناس، ويعظ الناس، ويوجههم إلى الخير، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر عليه الصلاة والسلام، وربما خطب الناس وهو جالس، وربما خطبهم وهو قاعد على الأرض، وربما خطبهم وهو على البعير، وربما خطبهم وهو على المنبر، فهو لا يتكلّف، بل يذكر حسبما يتيسر، والله بعثه مذكراً، ونذيراً، وهادياً، ومبشراً، كما قال ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا ○ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنْبِرًا [الأحزاب: 45-46]، فالله أرسله داعياً ومبشراً ونذيراً وسراجاً عليه الصلاة والسلام، ومعلماً لأمته، ومحجاً لهم إلى كل خير عليه الصلاة والسلام.

فينبغي لأتباعه من أهل العلم أن يتوكّوا خطاه، وأن يسلكوا طريقه في الإنذار والتحذير والعظة والذكير والبلاغ والتعليم والجهاد في الأوقات المناسبة، هكذا يكون طالب العلم، ولا ينفيه برمسيات معينة، بل ينتهز الفرصة قائماً وقاعدًا، وعلى المنبر، وغير ذلك، ومشائياً، وراكباً: في القطار، على البعير، على الحمار، على البغل، في الطائرة، في الباخرة، في السفينة، في أي مكان يتحرى عزة الناس وتذكيرهم وتعليمهم.

وكان إذا خطب أحمرت عيناه، وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتى كانه مُنذر جيش، يقول: صبّحكم ومساكم عليه الصلاة والسلام.

فالخطبة إذا كانت عن قوةٍ، وعن عنايةٍ صار أثرها أشدّ في القلوب، وإذا كانت الخطبة عن ضعفٍ، وعن رخاوٍ، كان أثرها كذلك، فينبغي للخطيب أن يكون قويّاً في خطبته، بلغاً مؤثراً، يؤثر على من يسمع كلامه، وينطق عن كل قلبه، وعن كل نصحٍ.

ويقول: إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وكل بدعه ضلاله، لما كان دينه أكمل الأديان، وكان قد استوفى ما يحتاجه العباد بين الناس أن شرّ

الأمور محدثاتها، يعني: ليس هناك حاجة إلى أي ابتداع، وأي إحداثٍ، فالدين كامل، قد استوفى كلَّ ما يحتاجه العباد، فليس بالناس حاجة إلى أن يأتي أحدٌ ويبتدع في الدين، أو يشرع في الدين ما لم يأذن به الله، أو يستحسن عبادات ما أنزل الله بها من سلطانٍ.

ويقول: **بِعِنْدِنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتِينَ** يعني: أنه نبي السَّاعة عليه الصلاة والسلام، أفضل الأنبياء، وخاتمهم، فليس بعده نبي، ليس بعده إلا الساعة، يقول: كهاتين يقرن أصبعيه: السباحة بالوسطي، يعني: أنه قريب من آخر الزمان، وأن الساعة تقوم على أمته، وعلى آخر أمته، يعني: فلا تنتظروا نبياً بعدك يعلّمكم، ليس هناك إلا ما جاء به هذا النبي عليه الصلاة والسلام، ليس هناك نبي آخر سيأتي بتعليمٍ جديدٍ، لا، تعليم أول الأمة وأخرها واحد، وهو ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وهو تعليم الصحابة، وتعليم من بعدهم إلى يوم القيمة، وهو مادل عليه كتابُ الله، وهو القرآن، أو جاءت به سنة رسوله ﷺ، وهي الوحي الثاني، وهي كلامه وفعاله وتقريراته، هذه هي السنة، فما قال هو أو أقرَّ عليه أو فعله من العبادات بهذه سنته: **وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى** ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 1-4]، فما يُنَبِّئُهُ إِلَيْهِ، ويأمر به، وينهى عنه، وحْيٌ من الله.

وبهذا يكون المؤمن مهتماً بهذا الأمر، يعني بالقول والفعل، ويتبع سنته القولية والعملية، حتى يأخذ دينه عن ذلك، وحتى لا يحتاج إلى أحدٍ، وحتى لا تتبس عليه الأمور بما يُحدثه الناس، فإنَّ العبد إذا قلل علمه التبتُّع عليه الأمور، فإذا جدَّ في طلب العلم، وتحرى ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وجدَّ في ذلك، وصدق في ذلك، يطلع على الشيء الكثير مما جاء به عليه الصلاة والسلام، وأغناه الله بما جاء به الوحي عن الحاجة إلى الناس، كما قال تعالى: **وَنَرَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** [النحل: 89]، وقال عليه الصلاة والسلام: ما بعث الله مننبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم خرجه مسلم في "الصحيح". كل نبيٍّ هكذا، فآخر الأنبياء وأعظمهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فلا بد أن يكون بلاغه لهذه الأمة وإنذاره لها..... لها أكمل من قبله عليه الصلاة والسلام، فحياته كلها وعظ كلها توجيه، كلها تذكرة، كلها إنذار، كلها عزوة، كلها بيان لمن غنى بذلك.

.....

وَكَانَ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَنَحَهَا بِحَمْدِ اللهِ

وَأَمَّا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّهُ يَفْتَنُ خُطْبَةَ الْاسْتِسْفَاءِ بِالْاسْتِفْعَارِ، وَخُطْبَةَ الْعِيدَيْنِ بِالْتَّكْبِيرِ. فَلَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ سُنَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَتَّةُ، وَسُنَّتُهُ تَقْضِي خَلَافَهُ، وَهُوَ افْتَنَحُ جَمِيعَ الْخُطُبَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الْثَلَاثَةِ لِأَصْنَابِ أَحْمَدَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ شِيَخِنَا -قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ-

الشيخ: وهذا هو المقصود، كان يبدأ كلماته بالحمد عليه الصلاة والسلام، يبدأ خطبه بالحمد لله، وهذا هو الأفضل.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن خطب العيد تبدأ بالتكبير، واحتُجوا بتأثر مُرسلٍ عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن النبي ﷺ بدأ خطبته في العيد بتسعة تكبيرات. ولكن هذا المرسل لا يُحتج به في مقابل الأحاديث الصحيحة الدالة على بدئه خطبه بالحمد، هذا هو الأفضل.

.....
وكان يخطب قائماً، وفي مَرَاسِيلِ عطاءٍ وَغَيْرِهِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَعَدَ الْمِنْبَرَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بَلَّ الشَّعْبِيُّ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ يَفْعَلُانِ ذَلِكَ.

الشيخ: علق على هذا؟

الطالب: حديث صحيح: أخرجه عبدالرزاق: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء. وروى أيضًا هو وابن المنذر يُحدث عن الشعبي قال: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر أقبل على الناس بوجهه وقال: السلام عليكم، قال: فكان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك رواه ابن ماجه من حديث جابر، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

وفي الباب عن ابن عمر عند الطبراني

الشيخ: نعم، هذه المرسلات كلها ضعيفة، مرفوعة وضعيفة، يشد بعضها بعضاً في عند صعود المنبر.

.....
وكان يختتم خطبته بالاستغفار، وكان كثيراً ما يخطب بالقرآن.

وفي "صحيح مسلم" عن أم هشام بنت حارثة.

الشيخ: "التقريب" حاضر؟ انظر: عامر بن شراحيل الشعبي.

عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت ق و القرآن المجيد [ق:1] إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

الشيخ: هذا وهذا، وصح عنها أنها سمعته يقرأ (ق) على المنبر، وأخذت عنه السورة، وهذا يقرأها في صلاة الفجر أيضًا.

الطالب: عامر بن شراحيل الشعبي -فتح المعجمة- أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقيه، فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيتك أفقه منه. مات بعد المئة وله نحو من ثمانين. (ع).

.....

الشيخ: يُروى أنه قال: ما كتبت سوداء في بيضاء. يعني: حفظ، عنده قوة حفظ.

وَذَكَرْ أَبُو دَاوِدَ عَنْ أَبْنَ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا تَشَهَّدَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئًا.

وَقَالَ أَبُو دَاوِدَ: عَنْ يُونَسَ: أَنَّهُ سَأَلَ أَبْنَ شِهَابٍ عَنْ تَشَهُّدِ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَذَكَرَ نَحْرَهُذَا، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى.

قَالَ أَبْنُ شِهَابٍ: وَبَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، وَلَا يُعَجِّلُ اللَّهُ لِعَجْلَةٍ أَحَدٍ، وَلَا يُخْفِي لِأَمْرِ النَّاسِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا مَا شَاءَ النَّاسُ، يُرِيدُ اللَّهُ شَيْئًا، وَيُرِيدُ النَّاسُ شَيْئًا، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلَا مُبْعَدٌ لِمَا قَرَبَ اللَّهُ، وَلَا مُقْرَبٌ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ، وَلَا يَكُونُ شَيْئٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

الشيخ: أيش قال المحشي على أول شيء؟

الطالب:

الشيخ: تم كلامه.

الطالب: نعم.

وَكَانَ مَدَارُ خُطْبَةِ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِالْأَيَّهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَمَحَامِدِهِ.

الشيخ: وهذا الذي تقدم الكلام فيه غير مرءٍ: ببس الخطيب أنت هذا يتحمل أنه كان أو لا ثم نسخ ذلك، فإن خطبه الكثيرة وأحاديثه الكثيرة كلها تدل على جواز التثنية في جمع الضمير، وهي أصح من حديث عدي، ويتحمل أن هذا كان أو لا، ثم جاء النسخ، ويتحمل الترجيح، وأن أحاديث الجمع أرجح من حديث الفصل، ولعل إنكاره للرجل حيث قال: "وَمَنْ يَعْصِيهِمَا" كان قبل أن يتكلم بتثنية الضمير؛ لأن الترجيح هذا صحيح، وهذا صحيح، لكن قد يكون النهي منسوخاً، بدليل أنه **تابع خطبه بذلك وكلامه**.

ومن ذلك قوله: ثلثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَا سواهُمَا، فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ لَا تُحصِّى فِي "الصَّحِيحَيْنِ" وَغَيْرِهِمَا، وَإِذَا لَمْ تَتَوَافَّرْ شُرُوطُ النَّسْخِ بَقِيَ التَّرْجِيحُ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ مِنَ الْأَحَادِيثِ لَهُمْ فِي هَذَا أَرْبَعَ طَرِيقٍ:

الطريق الأولى: الجمع مهما أمكن، هذا هو المقدم حيث أمكن، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى النسخ، ونسخ المتقدم بالتأخر، إذا توافرت الشروط وغلم التاريخ، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى الطريق الثالث، وهو الترجيح، فإن لم يتيسر ذلك رجع إلى الطريق الرابع، وهو التوقف حتى يتبيّن الأمر، التوقف مؤقت، التوقف ليس أمراً مستمراً، بل هو أيضاً مؤقت ريثما يتبيّن لطالب العلم أحد الأوجه الثلاثة السابقة: من جمع، أو نسخ، أو ترجيح.

ومن أوجه الجمع: أن يُحمل النهي على الكراهة، أو الأمر، أو الفعل على الجواز.

ومن أوجه الجمع: حمل الأمر على الندب، لا على الوجوب، بدليل أنه لم ي عمل ذلك الأمر، وطرق الجمع متعددة.

وهنا يمكن الجمع عندما قال: بئس الخطيبُ أنت الكراهة، قد لا، فحمل على الكراهة، ولكن كيف يُقال أنه استعمل ما هو مكره غالباً الأحوال مع أنَّ ظاهره المنع في رواية أبي داود: قُمْ، بئس الخطيبُ أنت، بزيادة "قم"، والأرجح والأظاهر عند التأمل هو الترجيح؛ ترجيح أحاديث جمع الضمير على أحاديث بئس الخطيبُ أنت.

وَكَانَ مَدَارُ خُطْبَتِهِ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِاللَّائِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَمَحَامِدِهِ، وَتَعْلِيمِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمَعَادِ، وَالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَتَبْيَينِ مَوَارِدِ غَضِيبِهِ، وَمَوَاقِعِ رَضَاهُ.

الشيخ: وهذا من خطبه ما بين مذكر بالله وأسمائه وصفاته وعظيم حقه وكمال صفاته، وما بين التذكير لما يجب الله من الحقوق والطاعات والتحذير مما ينهى عنه سبحانه من الأخلاق والأعمال والأقوال، وهكذا التبشير بالجنة والنار، وما أعد الله للمتقين في الجنة، وما أعد الله للكفار في النار، وما بين والمعاصي وبين سوء عاقبتها، وما بين الحث على الدعوة إلى الله، والترغيب في دينه، والتحذير من الإعراض والغفلة عمّا جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام، وما بين قصص عمّا مضى من الأنبياء وأحوالهم، وما جرى عليهم، وما جرى على أممهم؛ للعظة والذكرى والتأسي بالأخلاق، والصبر على ما صبر عليه الرسل وأتباعهم.

.....

فَعَلَى هَذَا كَانَ مَدَارُ خُطْبَتِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ أَيْمَانِهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا -أَوْ: لَنْ تَفْعَلُوا- كُلَّ مَا أَمْرَתُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا.

وَكَانَ يَخْطُبُ فِي كُلِّ وَفْتٍ بِمَا تَقْضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَنَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيَتَشَهَّدُ فِيهَا بِكَلِمَاتِ الشَّهَادَةِ، وَيَذْكُرُ فِيهَا نَفْسَهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ.

وَتَبَثَّتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ.

الشيخ: أيش قال على؟

الطالب: وَتَبَثَّتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ، قَالَ التَّرمِذِيُّ:

الشيخ: الحاشية؟

الطالب: نعم, وأحمد في "المسنـد"، وسنه قوي، وحسنـه الترمـذـيـ وغـيرـهـ.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَأْوِيشٌ يَخْرُجُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا خَرَجَ مِنْ حُجَّرَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَلْبِسُ لِبَاسَ الْخُطَبَاءِ الْبِيَوْمَ، لَا طُرَحَةً، وَلَا زِيقَّاً وَاسِعًاً.

الشيخ: يعني ملابسه عاديـةـ عـادـيـةـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، كما يلبـسـ عـنـدـ النـاسـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـأـخـرـىـ، إـلـاـ أنهـ كـانـ يـتـحرـىـ الشـيـءـ الـجـدـيدـ وـالـطـيـبـ، مـثـلـمـاـ قـالـ عـمـرـ فـيـ جـبـةـ عـطـارـدـ يـلـبـسـهـ لـلـوـفـودـ وـالـجـمـعـةـ، وـكـانـ يـتـحرـىـ الـلـبـاسـ الـحـسـنـ فـيـ الـخـطـبـ وـالـأـعـيـادـ، لـكـنـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ زـيـّـ خـاصـ يـخـصـ بـهـ الـجـمـعـةـ أوـ الـأـعـيـادـ، سـوـىـ التـجـمـلـ وـالـتـطـيـبـ وـنـحـوـ ذـلـكـ مـاـ يـشـرـعـ فـيـ يـوـمـ الـعـيـدـ, وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ شـأـوـيـشـ يعنيـ: رـجـلـ خـاصـ يـتـكـلـمـ بـيـنـ يـدـيـهـ، وـيـخـرـجـ أـمـامـهـ إـذـاـ خـرـجـ، كـانـ مـتـوـاضـعـاـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ.

.....

وَكَانَ مِنْبَرُهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، فَإِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ أَخَذَ الْمُؤْذِنُ فِي الْأَذَانِ فَقَطْ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِشَيْءٍ الْبَتَّةَ، لَا مُؤْذِنٌ وَلَا غَيْرُهُ.

الشيخ: الكل يستمعـ، إذا شـرـعـ فـيـ الـخـطـبـةـ أـنـصـتـ النـاسـ يـسـتـمـعـونـ، وـكـانـ لـيـسـ هـنـاكـ, بـعـدـ الـأـذـانــ كـماـ يـفـعـلـهـ بـعـضـ النـاسـ فـيـ بـعـضـ الـجـمـعـ, لـيـسـ هـذـاـ فـعـلـهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، إـنـمـاـ الـإـمـامـ يـذـكـرـ النـاسـ، إـذـاـ قـالـ الـخـطـبـةـ أـنـصـتـواـ، أـوـ لـاـ تـكـلـمـواـ وـالـإـمـامـ يـخـطـبـ، وـنـصـحـ النـاسـ، هـذـاـ مـقـاصـدـ الـخـطـبـةـ، لـكـنـ لـاـ يـكـوـنـ هـنـاكـ وـاحـدـ يـعـدـ لـهـذـاـ الشـيـءـ، يـقـوـلـ لـلـنـاسـ: اـفـعـلـوـاـ كـذـاـ، وـافـعـلـوـاـ كـذـاـ، لـيـسـ هـذـاـ بـمـشـروـعـ.

.....

وكان إذا قام يخطب أحد عصا فتوكاً على عصا و هو على المنبر. كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب. وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك.

الشيخ: هذا رواه أبو داود بإسناد حسن عن الحسن بن الحسن: أنه رأى النبي ﷺ يخطب بكلمات معدودات، وكان يذكر على عصا أو قوس يوم الجمعة. وروي عنه بإسناد ضعيف أنه فعل ذلك في العيد أيضا، فالأمر في هذا واسع، أيش قال المحسني عليه؟

الطالب:

الشيخ: وفي إسناده، لكنه شاهد لهذا الحديث.

الطالب:

وكان أحياناً يتوكلاً على قوسين، ولم يحفظ عنه أنه توكلاً على سيفٍ، وكثير من الجهلة يظنون أنه كان يمسك السيف على المنبر إشارة إلى أن الدين إنما قام بالسيف، وهذا جهل قبيح من وجهين:

أحد هما: أن المحفوظ أنه توكلاً على العصا وعلى القوس.

الثاني: أن الدين إنما قام باللوحي، وإنما السيف فلم يتحقق أهل الضلال والشرك، ومدينة النبي ﷺ التي كان يخطب فيها إنما فتحت بالقرآن ولم تفتح بالسيف.

وكان إذا عرض له في خطبته عارض اشتغل به، ثم رجع إلى خطبته، وكان يخطب فجاء الحسن والحسين يعتران في قميصين أحمرتين، فقطع كلامه فنزل فحملهما، ثم عاد إلى منبره، ثم قال: صدق الله العظيم: إنما أموالكم وأولادكم فتن [التغابن: 15]، رأيت هذين يعتران في قميصيهما فلم أصبر حتى قطع كلامي فحملتهما.

الشيخ: هذا يدل على الرأفة والرحمة والطفولة والتواضع.

وجاء سليمان الغطافي وهو يخطب فجلس، فقال له: قم يا سليمان فازرع ركعتين وتجوز فيهما، ثم قال وهو على المنبر: إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليزرع ركعتين ولتجوز فيهما.

وكان يقتصر خطبته أحياناً، ويطيلها أحياناً بحسب حاجة الناس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة.

الشيخ: الغالب التخفيف، وإلا قد يطول إذا اقتضى الحال.

وكان يخطب النساء على حدة في الأعياد، ويحرضهن على الصدقة، والله أعلم.

فصول في هذه في العبادات

.....

الشيخ: الغالب التقصير، وقد يُطول كما في حديث وعمر بن الخطاب وجماعة خطب وطول لأسبابٍ.

س: ؟

ج: حديث عمار وما جاء في معناه، وحديث عائشة وما جاء في معناه، كلها تدل على أنَّ الأغلب عدم











فَصْلٌ

فِي أَمْرِ مَسْجِدِ الضِّرَارِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ رَسُولُهُ أَنْ يَقُومَ فِيهِ، فَهَدَمَهُ ﴿١٠٧﴾

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةً، وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ أَنْوَهُ وَهُوَ يَتَجَهُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ بَيَّنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلْمَةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمُطِيرَةِ الشَّاتِيَّةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتُصْلِيَ لَنَا فِيهِ. قَالَ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالٍ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا تَأْتِنَا كُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ جَاءَهُ حَبْرُ الْمَسْجِدِ مِنَ السَّمَاءِ، فَدَعَا مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمَ، أَخَا بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ، وَمَعْنَى بْنِ عَدِيِّ الْعَجَلَانِيِّ، فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمُهُ وَحَرِّقُهُ، فَخَرَجَا مُسْرِعَيْنَ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدَّخْشَمَ، فَقَالَ مَالِكُ لِمَعْنَى: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ بِنَارًا مِنْ أَهْلِهِ، وَدَخُلُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخْذَ سَعْفًا مِنَ النَّحْلِ فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يَسْتَدِّنَ حَتَّى دَخَلَاهُ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاهُ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفُرًا وَتَفْرِيَّا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ [التوبه: 107] إِلَى آخر القِصَّةِ.

وَذَكَرَ أَبْنُ إِسْحَاقَ الَّذِينَ بَنُوا، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ ثَلْبَةُ بْنُ حَاطِبَ.

وَذَكَرَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي مَعاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفُرًا: هُمْ أَنْاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ابْنُوَنَا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ: ابْنُوَنَا مَسْجِدُكُمْ وَاسْتَمْدُوْنَا مَا اسْتَطَعْنَا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَتَيْتُ بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأَخْرُجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بَنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصْلِيَ فِيهِ وَتَدْعُو بِالْبَرَكَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ Y: لَا تَقْمُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يَعْنِي: مَسْجِدٌ قِبَاءٌ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ: فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ [التوبه: 108، 109] يَعْنِي: قَوَاعِدَهُ لَا يَرَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِبِّيَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ يَعْنِي: الشَّكَّ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ [التوبه: 110] يَعْنِي: بِالْمُوتِ.

الطالب: في الحاشية: عبد الله بن صالح هو كاتب الليث، ضعيف، وعلى ابن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: لا يزال بناؤه هؤلاء الذين اتّخذوا مسجداً ضراراً وكفراريبة، يقول: لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم، يعني: شگاً ونفاقاً في قلوبهم، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين، إلا أن تقطع قلوبهم، يعني: إلا أن تتصدع قلوبهم فيما توصلوا، والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شگهم في دينهم، وما قصدوا في بنائهم وأرادوا، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة، وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم، حكيم في تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه.

الشيخ: وهذا من جنس أفعال المنافقين، المنافقون أعمالهم الخبيثة كثيرة، ولكن الله أبطل كيدهم، وأضل سعيهم، وباعوا بالخبيثة والخسران، وفضحهم الله، ومن ذلك عملهم في هذا المسجد الذي ليسوا فيه وقالوا للنبي: إنهم أرادوا به الضَّعيف والمسكين وأصحاب الحاجة، وفي الليلة المطيرة، وأشباه ذلك، وهم قصدوا به إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، جعله حصنًا له يأوي إليه، وهو أبو عامر الراهن المعروف، الذي فرَّ من الإسلام إلى مكة، ثم إلى الروم، ويُقال له سابقًا: الراهن، فلما كفر بالحق قيل له: أبو عامر الفاسق الضال، فضحهم الله، وأنزل في مسجده ما أنزل، وهدمه النبي ﷺ، وبين ضلالهم، وهكذا المساجد التي تُبنى على غير وجه شرعي يجب أن تُزال وتهدم، وألا تُبنى إلا على الوجه الشرعي.

المقصود أنَّ الله جلَّ وعلا فضح المنافقين في مواضع كثيرةٍ من أعمالهم الخبيثة، فذلك منه جلَّ وعلا نصراً لنبيه، وتائيداً لنبيه، وفضيحة لأعدائه، وهذا يقول جلَّ وعلا: وَلَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه [الحج:40]، ويقول جلَّ وعلا: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ إِنَّا شَهَادُ [غافر:51]، ويقول جلَّ وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصْرُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُئْتِيَ أَفْدَامَكُمْ [محمد:7]، فالمؤمنون إذا استقاموا ونصروا دين الله نصرهم الله وأيديهم وإن قلوا، وإنما يؤخذ الناس بذنبهم وسيئاتهم وتفریطهم: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَإِنَّمَا كَسَبَتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كثِيرٍ [الشوري:30].

فالواجب على المؤمن أن يُراقب الله، والواجب على كل مسلم، وعلى كل مُكَلَّفٍ أن يتَّقي الله، وأن يُراقب الله فيما يأتي ويدرك، وأن يحذر عقوبة الله العاجلة والآجلة، ولا يحسبَ الله تخفي عليه خافية، إِنَّ اللَّهَ جلَّ وعلا يعلم ما تخفي الصدور: إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران:119].

فالواجب الحذر من مغبة السينات والأعمال الخبيثة، والله يقول سبحانه: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [آل عمران:28]، ويقول جلَّ وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذِّرُوكُمْ [النساء:71]، فلا ينبغي للعقل أن يغترَّ بما يتظاهر به بعضُ الناس حتى يسبر الأمر وينظر، حتى تبين المصلحة، وحتى تندفع المفسدة.

س:؟

ج: مسجد قباء ومسجد النبي، كلاهما، مسجد قباء تُبني على التَّقوى من أول يوم، ومسجد الرسول من باب أولى؛ ولهذا قال لما سأله قال: مسجدي هذا يعني: مسجدي ومسجد قباء كلاهما أُسس على التَّقوى.

.....

فصلٌ

فَلَمَّا دَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَأْقِيَهُ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصِّبِيَّانُ وَالوَلَادُ يَقُولُونَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنَيَاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهَ دَاعِ

وَبَعْضُ الرُّوَاةِ يَهُمُ فِي هَذَا وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدِمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ وَهُمْ ظَاهِرُ؛
لَأَنَّ ثَنَيَاتِ الْوَدَاعِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ، لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمْرُرُ بِهَا إِلَّا إِذَا
تَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحْدُ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ.

الطالب: متفق عليه من حديث أنسٍ.

الشيخ: طابة من أسماء المدينة، طابة وطيبة من أسماء المدينة، وفي هذا دلالة على أن بعض البقاع
والجبال لها إحساس في حب الله ورسوله: هذا جبل يحبنا ونحبه، الله يجعل فيها ما يشاء I.

س:؟

ج: مثلكما سمعت، الله أعلم.

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ العِبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْدُنْ لِي أَمْتَدِحْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالَّكَ،
فَقَالَ:

مِنْ قَبْلِهَا طَبَّتِ فِي الظِّلَالِ وَفِي

ثُمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادَ لَا يَشْرُ

بِلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ

تُثَقَّلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الصِّيَّابِ وَفِي النَّ

الشيخ: ما عَلَقَ بشيءٍ؟

الطالب: نسبة إلى "المستدرك"، والبيهقي في "الدلائل" فيما ذكره الحافظ فقط.

فَصَلْ

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَدَا بِالْمَسْجِدِ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَجَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفَقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضُعْفَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِيلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، وَبَأْيَهُمْ، وَاسْتَغْفَرُ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَجَاءَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ الْمُغْضَبُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: تَعَالَ، قَالَ: فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَقَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهَرَكَ؟! فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ لَرَأَيْتُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ سَخْطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أَعْطَيْتُ جَدَلًا، وَلِكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ إِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَلَيَّ، لَوْيُشَكَّنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ عَنِّي، وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَفَوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَحَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُلْمَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ، فَقُلْمَ.

وَثَارَ رَجَلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي يُؤْتَبُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِلُكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ! قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَلْوَا يُؤْتَبُونِي حَتَّى أَرْدَثْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ فَالاً مِثْلَمَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَمَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِي، وَهَلَلُ بْنُ أَمِيَّةِ الْوَاقِيِّ. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحِيْنِ شَهِيْدًا بَدْرًا، فِيهِمَا أَسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ دَكَرُو هُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا التَّلَاثَةِ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَبَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالَّتِي أَعْرَفُ، فَلَبِثْتُ عَلَى ذَلِكَ حَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبَكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشْبَ أَقْوَمَ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشَهُدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطْوُفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ.

الشيخ: وفي هذا دلالة على عظيم طاعة الصحابة للرسول ﷺ، وعناتهم بالسمع والطاعة، لما أمرهم بهجر الثلاثة اجتنبوهم و هجروهم، فدل على كمال الإيمان، وقوة الإيمان، والعنابة بالسمع والطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام.

وفي ذلك حكمة: حتى يرتفع الناس عن إظهار المعاصي والإصرار عليها، وأنّ صاحبها على خطير.

وفي ذلك من الفوائد: أنها وإن عظمت فإنَّ الله يمحوها بالتوبة الصادقة، فهو لاءٌ تاب الله عليهم، وربحوا الدنيا والآخرة، وأولئك المخالفون الكاذبون خسروا الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

فالواجب الصبر على الحق وإن كانت فيه غضاضة، لا بد من الصبر على الحق والثبات عليه، وإن أصابك ما أصابك، والحدر من الباطل، وإن تزخرفت به الدنيا، وحصل به ما قد يحصل لأهل الدنيا، فالحق أحق بالاتباع وأولى، والعاقبة لأهل التقوى، كما قال تعالى: فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ [هود:49]، فهو لاء جعل الله لهم العاقبة الحميدة، وأنزل فيهم: وَعَلَى الْتَّلَاثَةِ الَّذِينَ حُلِّفُوا [التوبه:118]، وأولئك باعوا بالخيبة والخسارة، نسأل الله العافية.

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمَ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطْوَفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَأَتَيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقْوَلُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَقَتِي بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارَ قُوَّةَ النَّظَرِ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا النَّفَّتْ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جُفُونِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ حِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَ عَلَيَّ السَّلَامُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكِ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعَدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّتْ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطَيْ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدَمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَذْلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِيقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَالِكِ غَسَانَ، فَإِذَا فِيهِ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بِلَعْنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارَ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةً، فَالْحَقُّ بِنَا تُؤَسَّكَ"، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَرَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ اعْتَرَلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هَلَالَ بْنِ أَمِيَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَلَالَ بْنَ أَمِيَةَ شَيْخُ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرِهُ أَنْ أَخْدُمْهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرُبُكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُذْكُونَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ كَعْبٌ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هَلَالَ بْنِ أَمِيَةَ أَنْ تَحْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِيَنِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنَهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ.

وَلَيْلَتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالِي حَتَّى كَمْلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَّحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى سَطْحِ بَيْتِي مِنْ بُيُوتِنَا، بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، فَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ

فَرَحُّ مِنَ اللَّهِ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعَ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى ذِرْوَةِ الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ.

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثُوبَيَ فَكَسَوْتُهُ إِبَاهُمَا يُبَشِّرَاهُ، وَاللَّهُ مَا أَمْلَأُ غَيْرَهُمَا، وَاسْتَغْرَثُ ثُوبَيْنِ فَلَيْسُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ، فَتَنَقَّلَنِي النَّاسُ فَوْجًا يُهَنْئُونِي بِالتُّوبَةِ، يَقُولُونَ: لِيَهُنَّكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُهَرِّوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَسْنُ أَنْسَاهَا لَطْلَحَةُ، فَلَمَّا سَلَمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتَكَ أُمَّكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا سُرَّ اسْتِنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرَفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تُوبَتِي أَنْ أَخْلُعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَإِنِّي أَمْسِكْ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا تَجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تُوبَتِي أَلَا أَحِدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا مَا أَبْلَاهِنِي، وَاللَّهُ مَا تَعْمَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوِّنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبَة: 117-119]، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامَ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبِيًّا فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، قَالَ: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبَة: 95-96].

قَالَ كَعْبٌ: وَكَانَ تَحْلُفَنَا أَيُّهَا التَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرٍ أَوْلَذِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَأْيَعُهُمْ وَاسْتَغْرَفَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: وَعَلَى التَّلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَفُوا [التوبَة: 118]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا حَلَفَنَا عَنِ الْغَرْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْلِيلُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّا حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَفَتَلَ مِنْهُ.

الشيخ: وفي هذه القصة قصة الثلاثة: كعب وصاحبيه: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي- الدلالة العظيمة على وجوب الصدق، والحذر من الكذب، وأن عاقبة الصدق حميدة، وعاقبة الكذب وخيمة؛ ولهذا قال جل وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوِّنُوا مَعَ

الصادقين [التوبه: 119]، وقال جلَّ وعلا في آخر سورة المائدة: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَقْعُدُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَاحٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [المائدة: 119].

وقال النبي ﷺ: عليكم بالصدق، فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصِّدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

وقال في هؤلاء الكاذبين: يَحْلُفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبه: 96].

المقصود أنَّ الله جلَّ وعلا أثني على الصادقين، ونَمَّ الكاذبين، وحدَّ من أخلاقهم الذميمة.

فالواجب على المؤمن في جميع أموره أن يتحرى الصِّدق، وأن يحذر الكذب في أعماله وأقواله؛ طاعةً لله جلَّ وعلا، والتماساً لمرضاته، وحدَّ من عاقبة الكذب، ولا يجوز الكذب إلا في الأمور التي رخص فيها ربُّنا: كالحرب، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها، والإصلاح بين الناس، كما جاء في الحديث الصحيح عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: لم أسمع النبيَّ يُرخص في شيءٍ من الكذب إلا في ثلاثة: الإصلاح بين الناس، وال الحرب، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها. فلا بأس بهذا الكذب: للإصلاح بين الناس، أو في الحرب: الحرب خدعة، أو فيما يتعلق بين الرجل وأهله فيما يكون بينهما، إذا كذبت عليه أو كذب عليها للإصلاح بينهما فيما يتعلق بهما أنفسهما، وال الحرب كونه يُظهر شيئاً من الكذب، ليس فيه إخلافٌ بعهده، فليس فيه نقضٌ للعهد، وليس فيه خيانة، ولكن فيه مصلحة للمسلمين، وكان إذا أراد غزوَةً ورَأى بغيرها؛ حتى يهجم على العدو على غرَّةٍ، غير مُستعدٍ، فإذا رأى في الكذب مصلحةً من غير إخلالٍ بعهده ولا غدرٍ فلا بأس، كأن يكون العدو متحصناً مثلاً في ظهرهولي الأمر ورئيس الجيش أنه قافق؛ حتى يخرج العدو، حتى يبرز، فيقول: إنما قافقون. فإذا مشى وتجاوز المحلَّ وخرج العدو من حصنه كرَّ عليهم؛ لأنَّ هذا فيه مصلحة الجهاد، ومصلحة المسلمين، وليس فيه إخلالٍ بعهده، وإنما فيه مكيدة للعدو.

س:؟

ج: لا، لا يكذب في الرؤيا، جاء فيها الوعيد، لكن يُصلح بين الناس بالأشياء الأخرى غير الرؤيا.

وقال عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي معاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ حَلَطُوا عَمَّا صَالَحُوا وَآخَرَ سَيِّئًا [التوبه: 102] قال: كَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَرْوَةٍ تَبُوكُ، فَلَمَّا حَضَرَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْتَقَ سَبْعَةً مِنْهُمْ أَنفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ يَمْرُّ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَهُمْ قَالَ: مَنْ هُؤُلَاءِ الْمُوْتَقُونَ أَنفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي؟ قَالُوا: هَذَا أَبُو لَبَابَةُ وَأَصْحَابُ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْتَقُوا أَنفُسَهُمْ حَتَّى يُطْلَقُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَيَعْذِرُهُمْ، قَالَ: وَأَنَا أُفْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطْلَقُهُمْ وَلَا أَعْذِرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغَبُوا عَنِي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغُهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: وَنَحْنُ لَا نُطْلِقُ أَنفُسَنَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَّا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يُثْوِبَ عَلَيْهِمْ، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاحِدَّ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ [البقرة: 37]، فَلَمَّا تَرَأَتْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَطْلَقُهُمْ وَعَذَرَهُمْ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أَمْوَالُنَا فَتَسْدِيقُ بِهَا عَنَّا، وَاسْتَغْفِرْ لَنَا. قَالَ: مَا أَمْرَتُ أَنْ أَخْذَ أَمْوَالَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: حُذْ منْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُرَأَكِيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ صَلَاتِكُوكَ سَكَنٌ لَهُمْ [التوبه: 103]، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ.

وَكَانَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ لَمْ يُوتِقُوا أَنفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، فَأَرْجُنُوا لَا يَدْرُونَ: أَيُعَذِّبُونَ أَمْ يُتَابُ عَلَيْهِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى قَوْلِهِ: وَعَلَى الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ [التوبه: 117، 118]. تَابَعَهُ عَطِيَّةُ بْنُ سَعْدٍ.

الطالب: في الحاشية: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن صالح، وعلي ابن أبي طلحة روايته عن ابن عباس رضي الله عنهما مُرسلاً.

الشيخ: الأثر ضعيف لا شك؛ لأنقطعاه، ولضعف عطية أيضاً العوفي، أما عبد الله بن صالح فهو فيه بعض النقص، ولكنه من شيوخ البخاري رحمه الله، وليس على إطلاقه ما قاله المحتشى، بل له بعض الأغلاط والنقص، وليس بمطلق الضعف، انظر كلامه في "التقريب" عن عبد الله بن صالح، كاتب الليث.

س:؟

ج: ضعيفة نعم.

الطالب: عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنمي، أبو صالح المصري، كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة، مات سنة اثنين وعشرين، وله خمس وثمانون سنة. (خت، د، ت، ق).

الشيخ: نعم، هذا هو الصواب، فيه بعض الأغلاط، وثبت في كتابه رحمه الله.

الطالب: إذا حدث من كتابه؟

الشيخ: نعم، ثقة من كتابه، لا بأس به.







